مدخل لرسائل القدِّيس كبريانوس أسقف قرطاجة الشهيد وترجمة الرسالة " إلى دوناتوس"

ترجمة وإعداد أمجد رفعت
amgad@burnertechegypt.com

مقدِّمة

لا شك أن تناول حياة القدِّيس كبريانوس من خلال رسائله ستُثير لنا حقبة لها من الأهميَّة ما لا يُغفل ويمُر كرامًا، لأن الحياة المسيحيِّة في بواكيرها لها دلالات خاصة جدًّا على الإيمان في تفاصيله الدقيقة، فرجل مثل القدِّيس كبريانوس لعب دورًا هامًا في إرساء مبادئ الحق المسيحي المستلم من الرُّسل، فنجد أنَّه يتكلَّم عن الكنيسة في مفهومها ومعناها اللاهوتي ووحدتها وتماسكها ودلالات ومعاني كل هذا، ومفهوم الإنشقاق والهرطقة، وكيفيَّة معاملة هؤلاء المنشقِّين وكيفيَّة قبولهم عند توبتهم، وما هي معموديَّة الهراطقة ولماذا رفضتها وترفضها الكنيسة، وأهميَّة معموديَّة الأطفال ووجوبها، كل هذا سنجده مشروحًا مفصَّلاً وبشكل كنائسي كتابي وآبائي ومنطقي أصيل عند هذا الأب، وبشكل تفاعلي أيضًا في رسائل نابعة من أزمات وحبكات واقع تاريخي ملحمي فعلي. كما أنَّ القدِّيس كبريانوس له أهميَّة مسكونيَّة لِما له ولكتاباته من تناول لكنيسة روما والأولويَّة المزعومة لبابا روما، وكيف كان يرفضها ويتعامل معها، وهي تمثِّل وجهة نظر الكنيسة الأولى، خاصة إذا أضفنا إليها تعاليم القدِّيس ديونيسيوس السكندري الكبير وغيره من آباء هذا الزمن، لنتأكَّد من تعاليم الكنيسة كلها حول هذه القضيَّة المسكونيَّة الهامة، ولا يفوت أن نقول إن لكبريانوس دورًا هامًا في وضع البُنى التنظيميَّة للكنيسة في هيكلها الإداري والتدبيري، وكيف كان الحال آنذاك، ناهيك عن إنارة جزء مظلم من جغرافيا العالم القديم، وتاريخه المدني والإثني وأدبيَّاته وفلسفاته وكلاسيكيَّاته وحضاراته وثقافاته، هذا الكل المتغلغل والمتشابك مع تاريخ

الكنيسة الرحب، ومع انتشار نور المسيح الوهَّاج في حياة العالم وكيف حوَّلته الكنيسة إلى إطلالة على المجد المُشع من قيامة المسيح.

مدينة رومانيَّة على أرض إفريقيا

يتحدَّث العالِم ديكريه *Francois Decret* عن نشأة قرطاجة[١] فبعد هزيمة روما لها، عام ١٤٦ق.م، حيث تم سحقها وبدت مهجورة موحشة، أقام كايوس *Caius Grachus* الرجل الحقوقي، مقاطعة كبيرة على أنقاضها. ومِن ثمَّ عادت روما إليها، تبحث عن الأرض الخصبة، وصارت إفريقيا بالنسبة لروما "سلة الخبز". وشجَّعت مزارعيها على الهجرة لهذه البلدان الخصيبة، ليأخذوا خيرها، وبالفعل كان الرومانيون يهاجرون إليها، وفي خلال مائة عام ترومنت قرطاجة، وفي عام ٢٧م في عهد أوغسطوس اندمجت المدينة القديمة مع الجديدة لتشكل مقاطعة "إفريقيا" وسُمِّيت فيما بعد ببروكنسُلر إفريقيا، إذ عُيِّن لها حاكم [بروكنسُلر] لها، وظلَّت قرطاجة رومانيَّة لمدَّة خمسة قرون بعد الميلاد، إلى أن فتحها الفاندال بعد ذلك في القرن الخامس الميلادي، ومن بعدها سقطت قرطاجة في يد العرب، وكما يقول كامبنهاوزين *Campenhausen*؛ "قادت إفريقيا الغرب فكريًّا لقرون، لكن بعد سقوطها في يد العرب صمتت إلى الأبد"[٢]. كذلك يُشير ديكريه إلى أي مدى وصلت قرطاجة من التحضُّر والتمدُّن في ظل الحكم الروماني بل ومنذ العصر البونيقي التجاري، وقد دلَّت الاستكشافات الأركيولوجيَّة الحديثة على ذلك، ويقول إن هذا التمدُّن لعب دورًا أساسيًّا في نشأة المسيحية فيها. إذ اهتم الرومانيون ببناء المدن وإقامة النظام المدني السياسي والاقتصادي[٣].

---

[1] Francois Decret, *Early Christianity In North Africa*, translated by Edward L. Smither, p2, Cascade Books, USA 2009.
[2] Hans Von Campenhausen, *The Fathers of The Latin Church,* p36, Translated by Manfred Hoffman, Stanford University Press, California, 1969.
[3] Francois Decret, *op. Cit,* p4.

المسيحيَّة في قرطاجة

المسيحيَّة في شمال إفريقيا سُجِّلت على صفحات التاريخ في ١٧ يوليو ١٨٠م، بخَمس نساء وسبع رجال، من قرية سيللي *Scilli* بمقاطعة بروكونسلر، وقد نالوا الاستشهاد تحت حُكم الوالي الروماني فيجليوس ساتورنينوس *Vigelius Saturninus* الَّذي أراد أن يُمهلهم ثلاثين يومًا يراجعوا خلالها موقفهم، لكن كان ردَّهم المباشر هو "الأمر لا يحتاج إلى تفكير، ولا يوجد اعتبار لشيء عندنا" واللافت يقول ديكريه إن الشهداء لم يكونوا من المهاجرين مثل شهداء الغال عام ١٧٧م الَّذين كانوا من أصول أسيويَّة من فيرجيا، لكن هؤلاء كانوا مواطنين من شمال إفريقيا، وتسجِّل وثيقة "أعمال الشهداء السيلتيين" (أقدم الوثائق عن المسيحيَّة في شمال إفريقيا) أن الشهداء أشاروا إلى أنهم مسيحيِّون منذ فترة وأن المسيحيَّة موجودة وبقوة لفترة ليست بقصيرة، وهذا يتبيَّن من قولهم؛ "لم نصنع الشر أبدًا، ولم نساعد على أي شيء خطأ، لم ننطق يومًا بالشر، وإذا أُسيء إلينا نشكر، لأنَّنا كنَّا نعمل حسابًا لملكنا"[٤]، كما اكتُشفت كهوف كثيرة جدًّا في قرطاجة يتَّضح من خلالها علامات نقوش مسيحيَّة كالراعي الصالح، والسمكة والحمامة، وتعود هذه الأعمال لنهاية القرن الأول الميلادي، ممَّا يُرجِّح وجود المسيحيَّة في قرطاجة قبل نهاية القرن الأول[٥]. وينفي ديكريه أن تكون قرطاجة كرسيًّا رسوليًّا، فلو كان أحد الرسل هو مبشِّرها، لذكر هذا أيٌّ من ترتليانوس أو كبريانوس أو أغسطينوس أو أي مؤرِّخ آخر، لكن أحدٌ لم يذكر هذا[٦].

وكانت لقرطاجة علاقات تجاريَّة مع الشرق كله، وكانت ميناؤها حلقة وصل مع روما، وكان به أسطول بحري روماني، ومع أفسس (بأسيا الصغرى) ومع الإسكندريَّة وأنطاكيا. فليس صحيحًا ما تدَّعيه بعض الآراء الغربية أن روما هي أول من بشَّرت بالمسيحيَّة في قرطاجة، فلا يوجد أحد يستطيع أن يؤكِّد كيف دخلت المسيحيَّة إلى قرطاجة، لكن من الواضح من خلال

[4] Ibid, p10.
[5] Ibid, p11.
[6] Ibid, p12.

مُكاتبات كبريانوس، أنَّ علاقاته بالكنائس الشرقيَّة وطيدة، فربما تكون كنائس الشرق وروما أيضًا لعبت دورًا في دخول المسيحية إلى قرطاجة[٧] إضافة إلى وجود جالية يهوديَّة موجودة منذ القرن الثالث قبل الميلاد، من يهود الشتات، في مدن شمال إفريقيا، وكان لهم مجمع في وسط جمارث *Gamarth* التي تبعد بضعة كيلومترات عن شمال إفريقيا[٨]، وفي معرض دفاعه ضد اليهود وبمناسبة الحديث عن اضطهاد المسيحيِّين، يذكر ترتليانوس أن اضطهاد المسيحيِّين كانت تشعله وتحرِّض عليه المجامع اليهوديَّة[٩]. أمَّا التحدِّيات التي جابهتها المسيحيَّة فكثيرة، حيث قوبلت بمراسيم رفض وقمع امبراطورية كثيرة، هذا من الجانب السياسي، أمَّا من الجانب الاجتماعي فكان عسيرًا، فالأفارقة متمسِّكون بدياناتهم ويرفضون ـ خاصة في المدن التي لها معبودات وأتباع ـ أي دين آخر، وكم بالحري إن كان دينًا ينادي بتقويض وتغيير حياة كاملة وتاريخ من التديُّن والعبادة ضارب بجذوره في الحياة الاجتماعيَّة واليوميَّة للأسرة والفرد الإفريقي، ومتداخل مع التجارة والمعيشة والعلاقات الداخليَّة والخارجيَّة، ومتغلغل في الثقافة والأدب والأساطير والذهن والأيدولوجيات والتعليم، كل هذا شكَّل صعوبة أوليَّة لوصول المسيحيَّة لقلوب الأفارقة[١٠].

وكان على المسيحيِّين أن يمتنعوا عن العبادات والاحتفالات الوثنيَّة والمظاهر الاجتماعيَّة الأخرى كالمسارح وحلبات المصارعة وعروض القتال، التي يتحدَّث عنها ترتليانوس في كتابه عن العروض *on the Shows*. وقد كال الوثنيون الاتهامات للمسيحيِّين، من أنهم فئة سريَّة ضالة تعمل ضد الدولة، لها طقوس وعادات غريبة منها أكل لحوم البشر والعلاقات الأوديبيَّة، وكلها خرافات ناتجة عن جهل الوثنيِّين بطبيعة المسيحيَّة وبسبب إنزواء المسيحيِّين عنهم، وممارسة شعائرهم وصلواتهم خفية، وقد ردَّ على كل هذا كل الآباء والكُتَّاب المدافعين الأُوَل، أمثال يوستينوس وأثيناغوراس وترتليانوس وكليمندس

---

[7] Ibid, p13.
[8] Ibid, p14.
[9] Ibid, p15.
[10] Ibid, p19.

وأوريجانوس... إلخ. ويشير ترتليانوس إلى انتشار المسيحيَّة في إفريقيا في دفاعه ضد المغتاظين بسبب نمو الكنيسة المُطَّرد، يقول "ونحن قوم الأمس القريب، لكن هوذا قد امتلأ بنا كل مكان، ونعيش وسطكم، في البلدان، الجزر، الحصون، المدن، الأسواق، المُخيَّمات، القبائل، أماكن العمل، القصر، المجلس، المنتدى، لم نترك لكم مكانًا سوى معابد آلهتكم"[١١].

المصادر الأولى عن كبريانوس

أولى هذه المصادر هي سيرته الَّتي كتبها شمَّاسه بونتيوس *Pontius*: "حياة كبريانوس، الأسقف والشهيد"[١٢] "*Vita Cypriani*" وتُعدُّ أولى السيَر المسيحيَّة، وينقسم إلى جُزأين بعد التصدير، الأول (الفصول من ٢: ١٠) عن تحوُّله وعمله الأسقفي، الثاني (من ١١: ١٩) عن منفاه الثاني ثم استشهاده، مع بعض تعليقات ختاميَّة لبونتيوس. القدِّيس جيروم، ويُعدُّ مصدرًا رئيسيًّا عن حياة كبريانوس[١٣]، وأشار إلى أنَّه كان يعمل في البلاغة قبل تحوُّله، الأمر الَّذي لا يستبعده أغسطينوس، بينما يُشير بونتيوس إلى انشغاله بالآداب القديمة، في حين يتخيَّل كامبنهاوزن أنَّه كان يشغل منصبًا حكوميًّا رفيعًا لأنَّه أظهر معرفة واسعة بالقوانين التشريعيَّة والاتجاهات السياسيَّة المختلفة والنُظم الإداريَّة الحكوميَّة. الأمر الَّذي أثَّر على فكره ونشاطه التنظيمي الكنسي[١٤]. كما حدَّثنا عنه بعض القدِّيسين والكتَّاب الغربيِّين أمثال لاكتانتيوس وأغسطينوس والشرقيِّين أمثال القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي[١٥]. الَّذي أشار ربما بدون دقة إلى أن كبريانوس كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ أو الأعيان، ويعتقد الباحث *Freppel* نفس الشيء كذلك. هذا فضلاً عن وجود بعض الوثائق القديمة مثل؛ "أعمال بروكونسلر" *Acta Proconsularia Cypriani* الَّتي تحكي باقتضاب قصَّة استشهاد القدِّيس.

---

[11] app 37, ANF, Vol.iii, p45.
[12] ANF, Vol.5, *Fathers of the Third Century: Hippolytus,Cyprian, Caius, Novatian,* pp 267-274.
[13] Vir. Ill. 53, 67.
[14] Hans Von Campenhausen, *op.cit,* p37.
[15] Oratio xxiv: 6. PG35.

برجوازي قرطاجة الشهير

لم يكن يخطر على بال قومه، أن يتحوَّل إلى المسيحيَّة هذا الرجل النبيل الثري سليل العراقة والجاه، بكل ما له من عبقرية وفكر، فهو رجل كليم، خطيب، معلِّم حاذق، دارس مدقِّق، باحث محلِّل، أديبٌ بليغ، ذو ملامح هادئة، وطباع رصينة، وقد ترك حب الآداب اللاتينيَّة، وانكبَّ على معرفة المسيح، متوغِّلاً في أعماق الأسفار الإلهيَّة، سابحًا في الروحيَّات، لاهيًا عن العالم، زاهدًا عن الزواج والقنية والبهاء والسلطة، منزويًا عن الأنظار، قابعًا يحاكي السماء ورب السماء، سيزليوس كبريانوس، الَّذي صار ملمحًا من ملامح التاريخ الكنسي، أعطى لكنسية بلاده وتاريخها الخلود، قرطاجة الَّتي لا تُذكر إلاَّ ملحقة باسمه، المدينة الرومانيَّة على أرض إفريقيا، همزة الوصل الحضاريَّة والثقافيَّة بين القارات والشعوب. في مقاطعة بروكونسُلر *Proconsulris* إحدى المقاطعات الرومانيَّة الثلاثة، الَّتي كانت تشكِّل معًا ما يعرف قديمًا بشمال إفريقيا، مع نوميديا *Numidia* وموريتانيا قيصرية *Mauretania*، ولد سيزليوس كبريانوس، في بدايات القرن الثالث الميلادي، ما بين ٢٠٠: ٢١٠م، وفي وسط روماني الثقافة والنزعة، تغيب عنه الروح اليونانيَّة الفلسفيَّة، لاتيني اللغة، عريق التاريخ، حيث ترعرع البونيقيون، وهم امتداد للفينيقيين القُدامى، وكوَّنوا حضارة قديمة، إلى أن استولت الدولة الرومانية على هذه المنطقة، وقسَّمتها لمقاطعات استعمارية *colony*. وقد أصبحت أغلبها ذات امتيازات خاصة وسلطة رومانيَّة مستقلة في عصر تراجان (٥٣: ١١٧م) والمشهور بفتوحاته وتوسُّعاته الاستعماريَّة، واهتمامه بالبناء والتشيِّيد، وقد انتشرت في العاصمة قرطاجة المعابد الوثنيَّة والمسارح والأسواق والبازيلكيات والقباب (الَّتي أخذها الرومانيون عن الإغريق)[١٦]، حيث نشأ كبريانوس في بيت وثني من أبوين موسرين، ذكر بونتيوس عن بيته أنَّه كان كبيرًا ذا حديقة، في أجمل المدن الإفريقيَّة وعاصمة المقاطعة الرومانيَّة، قرطاجة الساحرة، الَّتي تقع بين شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط، إحدى أهم المراكز التجاريَّة وقتذاك، لكن

[16] E. W. Benson, *Cyprian, His Life, His Times, His Work,* p.xxvii, London, Macmilan 1897.

كل هذا جعلها صاخبة مزعجة، والذبائح البشريَّة للآلهة تشوِّه طبيعتها الربَّانيَّة الهادئة، ممَّا أثار كبريانوس حتَّى أشاح بوجهه عن كل هذه الموبقات وراح يبحث عن مرفأ آمن يركن إليه، وتستريح له جنباته، ويعبِّر فيه عن خلجاته، فوجد ضالته عند الناصري، الإله الواحد المتجِّسد القائم حيًّا من بين الأموات، وقد قاده الكتاب المقدَّس إلى الخلاص ومعرفة هذا المسيح العجيب.

تحوُّله إلى المسيحيَّة

لم يكن كبريانوس مجرَّد وثني، بل كان (بحسب جيروم) متمسِّكًا ومدافعًا عن ثقافته الأُمَميَّة بشدَّة، وعن معتقداته الوثنيَّة[١٧] لكن رغم هذا اجتذبته نعمة المسيح، ليصير من المدافعين عن الكنيسة والمسيحيَّة ضد الوثنيَّة، وقد أرشده إلى الكنيسة وإلى الحياة المسيحيَّة القس الوقور سيزليانوس، الَّذي (وبحسب بعض الأراء) لقَّب كبريانوس نفسه باسمه بعد تحوُّله حبًّا فيه، لكن لم تدم العلاقة بينهم طويلاً، إذ حال موت القس العجوز دون ذلك، وقد عهد إليه بزوجته وأولاده، وظل كبريانوس يدين لهذا الرجل بالفضل والجميل، ولم يعتبره أحد أقرب أصدقائه وفقط، بل دعاه "أب حياته الجديدة"[١٨] ورغم أن سيزليانوس كان قسًّا متزوِّجًا، اختار كبريانوس لنفسه البتوليَّة طريقًا، وما لبث أن باع كل أملاكه ليقتني الفقر، وأخيرًا أهمل قراءاته الأدبيَّة وتخلَّى عن متابعة البلاغة، وانكبَّ على الكتاب المقدَّس وكتابات العلاَّمة ترتليانوس، ونتاج كل هذا، خرج إلينا أحد أهم وأبرز القادة الدينيين والآباء الأولين في القرون الأولى، ما جعل فيشتر *Fichter* يقول "أن تحوُّل كبريانوس إلى المسيحيَّة صار نقطة تحوُّل لقرطاجة كلها"[١٩].

---

[17] Joseph H. Fichter, *Saint Cecil Cyprian, Early Defender of the Churc*, p4, Herder Book Co, London 1942.
[18] Ibid, p7.
[19] Ibid, p4.

السياق التاريخي الَّذي عاش فيه القدِّيس كبريانوس

تقع قرطاجة في إحدى المقاطعات الثلاث الرومانيَّة المذكورة بعاليه، وهذه المنطقة القديمة كانت تشكِّل شمال إفريقيا، وجزء كبير منها الآن يدخل في نطاق المغرب العربي، وقد أطلق عليهم الرومان قديمًا اسم البربر كما يطلق عليهم أيضًا الأمازيغ، وهم شعوب تُعرَف بقوَّتها وعنفها. كان هذا الجزء ينتمي لإفريقيا بالمكان فقط، وينتمي لروما بالروح والثقافة بل واللغة، بل والأكثر من ذلك أن اللغة اللاتينيَّة انطلقت من شمال إفريقيا، ففي حين كانت لغة الأدب والدين والصلاة في روما هي اليونانيَّة، كانت اللاتينيَّة هي لغتهم في شمال إفريقيا، وكانت إفريقيا الأرض الأم *mother land* للآداب المسيحيَّة اللاتينيَّة، وأصبحت كنيسة شمال إفريقيا هي أوَّل كنيسة لاتينيَّة وهو كما يقول فولكنر شيء مُستغرب[٢٠]. وكما قلنا فلا أحد يعرف من الَّذي بشَّر بالمسيحيَّة في هذه المنطقة، لكن المجتمع المسيحي إبان القرن الثالث، كان مجتمعًا واسعًا وقويًّا، ممَّا يدل على وجود المسيحيَّة فيها منذ النشأة، وهذا واضح من قول ترتليانوس "إن أعدادنا كانت هائلة"[٢١]، وكان من السهل أن يجمع كبريانوس في مجمع قرطاجة ٢٤٠م حوالي تسعين أسقفًا، أي أنَّه كان لكل مدينة صغيرة أسقفها، هذا فضلاً عن الكهنة والشمامسة[٢٢] ويتساءل فولكنر ما سبب قوَّة المسيحيَّة في هذه المنطقة، ولا يجد سببًا إلاَّ وجود شخصيَّات بارزة ومؤثِّرة جدًّا مثل ترتليانوس وكبريانوس وأغسطينوس[٢٣] وجميعهم كانوا من قرطاجة.

ترتليانوس وكبريانوس كانا عاملين في المجال القانوني، وكان ترتليانوس فقيهًا قانونيًّا *jurist*، مثقَّفًا مطَّلعًا على الآداب والفلسفة، وكان كبريانوس دارسًا للقانون والبلاغة، منكبًّا على الآداب الكلاسيكيَّة، أغزرهم اطلاعًا كان ترتليانوس وأعظمهم وأبرزهم عند الغرب هو أغسطينوس، أمَّا كبريانوس

---

[20] John Alfred Faulkner, *Cyprian, the Churchman*, p12.
[21] *Ad scapula* 2, 5.
[22] John Alfred Faulkner, *op.cit*, p10, 15.
[23] Ibid, p16.

فكان الأب المرجع والأهم عند الغرب حتَّى ظهور الأخِير، لكنَّه يتفوَّق على الاثنين في كنائسيَّته، ونعلم أن كنيسة روما رغم تقديرها لهذا القدِّيس واعتزازها به كأحد آبائها اللاتينيِّين الأُوَل، إلاَّ أن الأمر لا يخلو من بعض حساسية، بسبب مواقفه الحاسمة ضد البابا الروماني المعاصر له، وعدم اعترافه بالأوليَّة والأولويَّة المزعومة للقدِّيس بطرس ولبابا روما على الكنيسة المسكونيَّة، بل ومقاومته لهذا الفكر أحيانًا أخرى، لكن إن كان ترتليانوس هو مؤسِّس علم اللاهوت الغربي في لغويَّاته وملامحه العامة، فأغسطينوس هو المعبِّر القوي عن محتويات واتجاهات هذا العلم، ونرى في كبريانوس وساطيَّة تجمع ما بين الروح الشرقيَّة والغربيَّة، لكن لا نغفل أن كبريانوس لم يكن اللاهوتي المنشغل باللاهوتيات ودقائقها، بل كان "كنائسي" بالمعنى الدقيق للكلمة، منشغلاً لأبعد حد بالكنيسة والرعيَّة، محاربًا عن وحدة الكنيسة وتماسكها، وكان يعتبر الخارجين عليها ولو كان لهم نفس الإيمان بل ولو كانوا من المتألِّمين بسبب الإيمان، فهم مرفوضون، لأن في جنوحهم عن الكنيسة جنوحًا عن الإيمان، فوحدة الكنيسة وسلامة تماسكها هو الضامن لاستمرار الإيمان سليمًا محفوظًا مصانًا، وكان يرى أن الخروج على الكنيسة هو بداية الانحراف عن الإيمان، ودفاعه الشرس عن الكنيسة في معناها ومفهومها اللاهوتي بكل أبعاده قد حفظ بالفعل الإيمان من عبث المنشقِّين، الَّذين اعتادوا الانشقاق كلما طاب لهم ذلك، ممَّا جعل فيشتر يصفه في عنوان كتابه عنه بأنَّه المدافع الأوَّل عن المسيحية. سيم كاهنًا عام ٢٤٨م، وبعدها بعام اختير كأسقف بعملية انتخاب تاريخيَّة، وبعد رسامته أسقفًا بعام واحد أي ٢٥٠م، اندلع الاضطهاد الروماني المنظَّم على يد ديسيوس، وقد حارب كبريانوس في كل الاتجاهات وعلى كل الجبهات، الخارجية المتمثلة في الاضطهاد والتنكيل الوثني للمسيحيِّين أينما وجدوا، والداخلية المتمثِّلة في الانقسامات والانشقاقات والهرطقة، زِد عليهم وباء الطاعون الَّذي اجتاح العالم في بدايات القرن الثالث الميلادي، وهذا الخضمُّ والحياة الزخمة بالأحداث حالت دون كتاباته لتفسيرات وكتب روحيَّة، بل شكَّلت نمط كتاباته في الاتجاه

الظرفي الرسائلي، فأغلب كتاباته جاءت في شكل خطابات ورسائل خاصة، وفق المناسبات والظروف الَّتي يمر بها.

وقد انزوى كبريانوس إبان اضطهاد ديسيوس مِمَّا جعل بعض الرومانيين يتَّهمونه بالجبن والهروب خاصة أن الأسقف الروماني استفانوس المعاصر له قد استشهد، ممَّا اضطَّره للرد على هذا الاتهام، كما انشأ الاضطهاد داخل الكنيسة صراعات عديدة، عُرفت فيما بعد بصراعات الجاحدين *lapsi* الَّذين أنكروا الإيمان والراغبين العودة للمسيحيَّة، ونشأ جدل عنيف بسبب هؤلاء، ممَّا أدى إلى انشقاق البعض، بسبب تشدُّد كبريانوس في قبولهم، فقد كان يقبلهم لكن تحت شروط توبة قاسية، لكن أسقف روما أصرَّ على قبولهم بشيء من السهولة، وهذا كان مستصغر الشرر، الَّذي ما لبث أن اشتعل وأشعل فتيل المسألة، خاصة أن القضيَّة لم تتوقف عند هذا الحد بل إلى معموديَّة المنشقِّين، فكان كبريانوس يرفضها تمامًا لأنها كانت تتم خارج الإطار الشرعي والقانوني في أحضان الكنيسة، حتَّى لو كانت على اسم الثالوث وبالتغطيس، أمَّا أسقف روما فكان يقبلها طالما استوفت الشروط الطقسيَّة الشكليَّة، وهذه كانت ذروة الجدل والصراع الَّذي أفرز لنا كتابات القدِّيس المعروفة بكتابات "جدل إعادة المعموديَّة". رعويًّا، كان كبريانوس أحد أهم وأنشط - إن لم يكن الأنشط - الرُعاة الأُوَل، تحوَّل بسبب خدمته ورعايته كمٌّ هائل من الوثنيين إلى المسيحيَّة، وهو ما أشار بنفسه إليه[٢٤]. وقد تراسل مع أغلب كنائس المسكونة، في نشاط وحماس مسكوني متَّقد، فقد تراسل مع كنائس روما، الغال، أسبانيا وكبادوكيا[٢٥]، قال عنه الباحث *Patout* "صار قائدًا، لا لأساقفة بروكونسُلر الإفريقيَّة فحسب، بل لكل إفريقيا اللاتينيَّة، وإلى أقصى الغرب حتىَّ الأطلسي"[٢٦] ويُضيف فيشتر أنَّه "صار هو الصوت

[24] Ep 66:5.
[25] John Alfred Faulkner, *op.cit*, p16.
[26] J. Patout Burns JR., *Cyprian the Bishop*, p1, Routledge Early Church Monographs, London 2002.

الصدَّاح في القرن الثالث الميلادي، إن لم يكن في الكنيسة كلها، فعلى الأقل في كنيسة إفريقيا"[٢٧].

نظرة عامَّة على كتاباته وأسلوبه

لقد لخَّص جيروم مسألة كتابات القدِّيس واتجاهها وأنواعها وأسلوبه في الآتي؛ "أمَّا المبارك كبريانوس، فأسلوبه أشبه بينبوع ماء عذب، يتدفَّق بعذوبة ورقة، إلاَّ أن ذلك الأب لم يكتب أي مبحث في الأسفار المقدَّسة، وركَّز كل اهتمامه على الدعوة إلى المحبة والتمرُّس في الفضائل المسيحيَّة، على أن تعرُّضه الدائم لاضطهادٍ مرير لم يدع له مجالاً للكتابة"[٢٨] ويقول كامبنهاوزن "انتقل الفكر من مرحلة كتابات ترتليانوس الإنفعاليَّة، المتطرِّفة، غير المتزنة إلى كتابات متزنة ومنضبطة تحت مظلة الكنيسة بكبريانوس... الَّذي اتَّسم عالمه الفكري بالجلال، والثبات، والاعتدال الَّذي طالما افتقد إليهم ترتليانوس"[٢٩]. ويشير كامبنهاوزن إلى أن ثراء كبريانوس سمح له بتلقي أفضل وأعلى درجات التعليم، وأسلوبه قريب من بلديَّاته أبوليوس *Apuleius*[٣٠] وكان مطَّلعًا على كتابات الخطيب الروماني سينكا، وله معرفة واسعة بالفلسفة الرواقيَّة الَّتي انتشرت في زمانه، لكن امتلأت كتاباته بكم هائل وضخم باقتباسات من الكتاب المقدَّس، أكثر من أي شيء آخر، مِمَّا يدل على إهماله للفلسفات والأدبيِّات وانسكابه على كلمة اللَّه وحدها، دون إغفال لملكاته الأدبيَّة والبلاغيَّة القديمة، التي استغلها في توصيل رسالته أيُّمَا كانت.

المعاني والدلالات الخاصة للرسالة إلى دوناتوس

ولكي ما نتناول هذه المعاني والدلالات، لابد أن نمرُّ سريعًا على الترتيب التاريخي لرسائل القدِّيس كبريانوس، وقد كرَّس العالم الفرنسي *Luc*

---

[27] Fichter, *op.cit,* p8.
[28] *Letter LVIII. To Paulinus: 10*, NPNF, 2nd series, p122.
[29] Campenhausen, p36.
[٣٠] لوكيوس أبوليوس (١٢٥: ١٨٠ ق.م) كاتب لاتيني وخطيب أمازيغي نوميدي وفيلسوف وعالم طبيعي وكاتب أخلاقي وروائي ومسرحي وملحمي وشاعر غنائي، يعتبر صاحب أول رواية في التاريخ، تسمَّى"التحوُّلات" أسلوبه الأدبي بليغ، مطنب واسترسالي، درس أولاً بقرطاجة، ثم أثينا وذهب لمصر، وعشق الأفلاطونيَّة، وله أعمال أدبيَّة كثيرة.

Duquenne كتابًا عن هذا[٣١] وقد قمنا باقتباس موجزه من العالم *Sage* وهي كالآتي[٣٢]:

الرسائل من ٥-٤٣ تعود لفترة اضطهاد ديسيوس.

الرسائل ٤٤-٦٦ تعود وتتزامن مع أسقفيَّة لوسيوس وكرنيليوس الرومانيِّين.

الرسائل ٦٧-٧٥ هي تخص جدل إعادة المعموديَّة.

الرسائل ٧٦-٨١ تعود لفترة اضطهاد فالريانوس

أمَّا الرسائل من ١-٤ و٦٢ و٦٣ لا تحتوي على أية إشارة لزمن كتابتهم، لكن ربما تعود الرسائل الأربع الأولى إلى فترة ما بعد تولِّي كبريانوس الأسقفيَّة، وربما هي نتاج مجمع مكاني سنوي. أمَّا الرسالة ٦٢ فمن الشائع أن تاريخ كتابتها حوالي عام ٢٥٣م، ومن الصعب تحديد وقت محدَّد للرسالة رقم ٦٣. وهكذا نرى أن عدد الرسائل ٨١ رسالة، لكن هناك الرسالة إلى دوناتوس الَّتي تندرج في بعض الطبعات تحت مقالاته مثل ترجمة الجامعة الكاثوليكيَّة بنيويورك[٣٣] ولم يترجمها *G. W. Clarke* في الكُتَّاب المسيحيون الأوائل[٣٤] لكن نترجمها هنا كأحد رسائله، رجوعًا لعدَّة طبعات منها مجموعة آباء ما قبل نيقية باللغة الإنجليزيَّة، الَّتي تندرج فيها تحت رسائله[٣٥] ولكونها رسالة بالفعل وليست مقال، ولعدم ترجمتها كاملة من قَبل للعربيَّة، ولدلالاتها الخاصة، من حيث المحتوى التاريخي والروحي، ونوجز أهم الملامح الروحيَّة والأدبيَّة في هذه الرسالة:

---

[31] Luc Duquenne, *Chronologie Des Lettres De S. Cyprien, Le Dossier De La Persecution De Dece,* Societe Des Bollandistes; 1972.
[32] Michael. M. Sage, *Cyprian*, No.1, p365, Patristic Monograph Series, Philadelphia Patristic Foundation 1975.
[33] Roy J. Deferrari (Translator), *Saint Cyprian, Treatises,* the Fathers of the Church, a New Translation, Vol. 36, the Catholic University of America 1958.
[34] G. W. Clarke, Ancient Christian Writers, *the Letters of Saint Cyprian,* Newman Press 1983.
[35] ANF, vol.5, *The Epistles of Cyprian*, pp 275: 280.

١. لها دلالة تاريخيَّة خاصة، إذ إنَّها من بواكير كتابات القدِّيس بعد تحوُّله، ويحكي فيها عن قصة تحوُّله، ومشاعره واحساساته العميقة بعد الإيمان المسيحي.

٢. الرسالة من الناحية الأدبيَّة:

أ. ومن وجهة نظر كثير من العلماء متكلِّفة وأسلوبها به إطناب وبلاغة زائدة، إذ لم يزل القدِّيس متأثرًا بالبلاغة والآداب الكلاسيكيَّة الَّتي كان يُدرِّسها، لكن يلحظ فيشتر أن رشاقة النقل في عباراته توضِّح كياسة وموهبة الخطيب الملمّ بمناحي الحياة الدنيويَّة. وتبيِّن مدى دقَّة تعليمه (درجته العلميَّة)[٣٦].

ب ـ أدبيًّا أيضًا، فالرسالة مملؤة بالصور البلاغيَّة والبيانيَّة، كالاستعارات التصريحيَّة والتمثيليَّة والتخييليَّة (المكنيَّة) مثل قوله "إن العقل يتمدَّد مسترخيًا" و"إن الأفكار تتزيَّا كلمات"...إلخ، إضافة إلى التورية والتشبيه، وتميل إلى الإطناب في الوصف سواء وصف الطبيعة أو المشاعر أو الحدث...الخ، وجُمَلُها طويلة، وأفكارها متكرِّرة بعض الشيء.

٣. أمَّا المحتوى الروحي، المعبَّر عنه بهذا الشكل البلاغي البديع، فهو عميق جدًّا، مشبوب بالأفكار والمبادئ والأحاسيس الروحيَّة المتأجِّجة، والَّتي تتمحور حول اعترافات القدِّيس بخطاياه وضعافاته السابقة، وهي أقرب ما يكون لاعترافات أغسطينوس؛ "عندما كنت مُلقى في ظلمةٍ وفي ليلٍ مكفهرٍّ، اتمايل هنا وهناك، اترنَّح مِن ثُمالة هذا العمر المتبجِّح وحيرة خطواتي الشاردة، جاهلاً كل شيء عن حياتي الحقيقيَّة، معزولاً عن الحق والنور... وإنَّ على الإنسان أن يكون قادرًا على أن يُولد مِن جديد". وينتقل بعدها إلى فكرة الميلاد الثاني ومياه الميلاد الجديد والعودة إلى الإنسان الجديد؛ "قد تطهَّرتْ كل تلطُّخات السنين الغابرة بمعونة مياه الميلاد الجديد، ونورٌ مِن العُلا، صافيًا ونقيًّا، تغلغل داخل قلبي المُنصلح ـ وبعدها وبواسطة الروح المتنسَّم مِن السماء، ميلادٌ ثانٍ اعادني إلى إنسانٍ جديد". ويتوغَّل بشكل دراماتيكي في عمل مقابلة بين حياة

[36] Fichter, *op.cit,* p4.

العالم بكل ما فيها من لهو وشر ورذيلة وقبح وظلام وصراع ونجاسة ودم وغدر وظلم وقتل وهتك وفتك...إلخ، وبين حياة الروح في كنف طبيب الروح وعريسها السماوي، إلى حياة الملائكة وسموَّها وهدوئها وروعتها وقداستها، فيقول؛ "السكينة الهادئة الأكيدة، والأمان الراسخ، الثابت والدائم، هو أن ينسحب الإنسان من دوَّامات العالم اللاَّهي، ويرسى على أرض ميناء الخلاص، ليرفع رأسه من الأرض إلى السماء، ويرتمي في نعمة اللّه" ويختتم بعمل الروح في حياة القلب والنفس الداخليَّة، ودور الإنسان الواثق والمؤمن بأنَّه سيكون ما يريد أن يكونه "فكما تشرق الشمس تلقائيًّا، وكما يُعطي النهار نورًا، وكالينابيع تتدفق، والمطر يُندِّي، هكذا ينبع داخلنا الروح السماوي. عندما تدرك الروح خالقها، بتحديقها في السموات، فهي تعلو أكثر من الشمس، وتسمو فوق كل القوى الأرضيَّة، وتكون ما تؤمن أنَّها ستكونه".

هذه الترجمة

تُرجمت الرسالة "إلى دوناتوس" من الإنجليزيَّة عن مجموعة "آباء ما قبل نيقية":

ANF, Vol.5, pp275: 280.

وأيضًا الترجمة الحديثة المنشورة في سلسلة "آباء الكنيسة" التي تصدرها الجامعة الكاثوليكيَّة بنيويورك:

The Fathers of the Church, A New Translation, Vol. 36, pp5: 21, the Catholic University of America 1958.

نصُّ الرسالةِ "إلى دوناتوس"

كايكيليوس كبريانوس يُرسل تحيَّاته.

لعلَّك تُذكِّرني أيُّها العزيز دوناتوس، لكنَّني لم أنْسَ وعدي، بل واعترف أن هذا هو الوقت المناسب كي أفي به، لأنَّ موسم الحصاد يدعو العقل أن يتمدَّد مسترخيًا، وأن يتمتَّع بالراحة مِن بعد جَهد عامٍ أفل. والكل في وفاق المكان والزمان، ومنظر الروُضِ البهيج يتناغم مع همسات نسيم الخريف الرطب يُرقرق ويُبهج الإحساسات. وفي مكان كهذا يستطيب أن نقضي اليوم في نقاش، وبدراسة أمثال [المسيح]، نروِّض وجدان الشعور لتدرك التعاليم الإلهيَّة. ولا تقاطعنا أيٌ مِن مُزعجات الدنيا، أو تقلقنا الجلبة المفرطة للبيوت الصاخبة، ولنبحث عن هذا الكوخ. وستوفِّر لنا الأعراش المتاخمة خلوتنا، وتعريشات فروع الكروم المتشعِّبة تزحف في تشابُكات متدلِّية بين عيدان الخيزران الَّتي تلتف حولها صانعة لنا شُرفة مِن الكروم ومستظلُّ مورق. هنا وبلطفٍ تتزيَّا أفكارنا كلمات؛ فعندما تستطيب عيوننا بما فوق الأشجار والكروم مِن منظرٍ عذب، يتهذَّب العقل فورًا بما نسمع، ويتغذَّى بما نراه، رغم أنَّك حتَّى الآن تتغاضى عن روعة المنظر، ولا يسعدك ويشغفك سوى حديثي فقط، فناظريك مُحدِّقان بي. وبعقلك كما هو بأذنك تُرهف السْمع، وتنصت بشغف يتناسب أيضًا مع وجدانك المُرهَف.

٢. وعلى كلٍّ، فأنا لا أعرف أي صنوف الكلام وأي مدى من مداها يكون عقلي ملائمًا لها كي يتلاقى بعقلك؟ فالمقدار الشحيح لإدراكي الضحل لا ينتج سوى حصادًا زهيدًا، ولا يثري اللقاء بالعناصر الخصيبة. وبرغم ذلك، ومع ما لي من قدراتٍ كهذه، فسأشرع في خوض الموضوع، لأن الموضوع نفسه الَّذي أنا بصدده سيساعدني. ففي المحاكم والمجالس العامَّة، وفي المناظرات السياسيَّة، تكون الفصاحة الغزيرة هي فخر لمطمح المتكلِّم، لكن في الحديث عن الرَّب الإله، تكون بساطة التعبيرات الوادعة تسعى مِن أجل يقين الإيمان إضافة إلى جوهر الموضوع نفسه، أكثر مِن قدرات الفصاحة. ولذلك فاقبل منِّي أشياء غير فصيحة ولكنَّها جليلة، كلماتٌ غير مدبَّجة لتفتن الجمهور ببلاغة أدبيَّة،

لكنَّها بسيطة وصالحة بما فيها مِن حق غير منمَّق مِن أجل إعلان الرحمة الإلهيَّة. اقبل ما يجيش في الحس قبل ما يُقال بالفم، ما لم يتراكم بالاجتهاد الحسيس على مر السنين، بل ما استُنشق مِن نعمة يانعة في زفرة واحدة.

٣. عندما كنت مُلقى في ظلمةٍ وفي ليلٍ مكفهِّرٍ، أتمايل هنا وهناك، أترنَّح مِن ثُمالة هذا العمر المتبجِّح وحيرة خطواتي الشاردة، جاهلاً كل شيء عن حياتي الحقيقيَّة، معزولاً عن الحق والنور، وكنت أعتاد أن أحتسبه كحالة مستعصية، وخاصة فيما يخص طباعي الشخصيَّة في ذلك الوقت، وأن على الإنسان أن يكون قادرًا على أن يُولد مِن جديد ـ الحقيقة الَّتي اعلنتْها لي الرحمة الإلهيَّة مِن أجل خلاصي ـ والإنسان الَّذي يسرع إلى حياة جديدة خلال الماء الخلاصي عليه أن ينزع عنه كل ماضيه، وإن كانت له نفس بنية جسده، إلاَّ أن قلبه وروحه قد تغيَّرا. وأقول هل هذا التحوُّل ممكنًا، وهل مِن تعرية مباغتة وسريعة لكل هذا، سواء أ كانَ المتأصِّل فينا وقد تقسَّى بفساد طبيعتنا الماديَّة، أم المكتسب وصار مزمنًا بالإعتياد عليه لفترة طويلة؟ وقد ترسَّخت هذه الأشياء عميقًا وجوهريًّا داخلنا. فمتى يتعلَّم التوفير مَن اعتاد على الموائد السخيَّة والاحتفالات المترفة؟ وهل يتَّضع ويتدثَّر بأليف اللباس وبسيطه، مَن اعتاد أن يتبرَّق بالذهب والأرجوان، ويحتفي بملابسه المزخرفة الثمينة؟ مَن كان يشعر بسحر الصولجان وإجلال الناس، أيُحجم عن هذا ليصبح مجرَّد شخص عادي ومواطن مغمور. الإنسان الَّذي تخدمه حشود مِن مُريديه، ويعظِّمه جحفل مِن قافلة الفضوليِّين، معتبرينها عقوبة أن يكون بمفرده. ناهيك عن حب الخمر، الَّذي لا محال ولا شك أنَّه يفتن، ويُنشئ كبرياءً منتفخًا، غضبًا متأجِّجًا، نهَمًا قلِقًا، وحشيَّة هائجة، طمعًا منتشيًا، شهوة سريعة الخراب، وإغراءات تسوقه للخراب فضلاً عن الإغواءات التي تكبِّل معصمه.

٤. هذه كانت خواطري المتواترة. لأنَّني أنا نفسي كنت مكبَّلاً بأغلال أخطاء حياتي السالفة الَّتي لا تُحصى، والَّتي لم أكن أُصدِّق أن لي منها إمكانيَّة خلاص، وكنت اتقهقر في رذائلي اللاَّصِقة مستسلمًا، ولأنَّني قد أيست مِن [أن اعمل] أشياء صالحة، اعتدَّت أن أدلِّل خطاياي كما لو كانت

جزءًا منِّي، وكأنَّني مفطورٌ عليها. ولكن هيهات، فقد تطهَّرتْ كل تلطُّخات السنين الغابرة بمعونة مياه الميلاد الجديد، ونورٌ مِن العُلا، صافيًا ونقيًّا، تغلغل داخل قلبي المُنصلح ـ وبعدها وبواسطة الروح المتنسَّم مِن السماء، ميلادٌ ثاني أعادني إلى إنسانٍ جديد ـ وبطريقة عجيبة بدأتْ تتأكَّد لي أمورٌ كنت أشكُّ فيها مِن قبل، أمورٌ خفيَّة أخذت تتَّضح، أمورٌ مظلمة بدأت تلتمع، ما كان يبدو عسيرًا مِن قبل بدا وكأنَّه وسيلة التحقيق [والإنجاز]، ما كان مِن قبل مستحيلاً صار ممكنًا يسيرًا، ما يجعلني الآن أُقرُّ أن ما وُلد مِن الجسد، وكان يرزح في الخطايا، الَّذي مِن الأرض وهو أرضي، قد بدأ الآن أن يكون مِن اللّه، ومحُييًا بروح القداسة. ويقينًا أنك تعرف وتتذكَّر مثلي ما قد اِنتُزع منَّا، بانمحاء الشر، وما قد مُنحناه في حياة البرِّ. وأنت تعلم هذا دون أن أُخبرك. فأيُّ ما يمتدح فيه الإنسان نفسه هو مكروه، حيث إنَّنا لا نستطيع التباهي بل فقط نعترف بالفضل، لأي شيء يُنسب برًّا للإنسان كي نعلن أنَّه عطيَّة اللّه، وإن كنَّا نخطئ حتَّى الآن فليس هذا مِن عمل الإيمان، بل هو نتاج الخطأ البشري. فكل قوَّتنا هي مِن اللّه، أقول، مِن اللّه. ومنه أخذنا الحياة، ومنه أخذنا القدرة، فبالقوَّة المتدفِّقة منه نحن نعمل، وبينما نحن في هذا العالم نعرف مسبقًا علامات الأشياء التي تحدث. ولتكن المخافة فقط هي حارسة الطهارة، الَّتي تتدفق في قلوبنا في عمل النعمة السماويَّة برحمة الرب، وتُحفظ بواسطة الطاعة الفاضلة في راحة العقل الشاكر، فالعهد الَّذي أخذناه لا يولِّد استهانة، لئلا يزحف علينا العدو القديم مرَّة أخرى.

٥. لكن إن حفظتَ طريق العفَّة، طريق البر، إذا سرت بخطوات ثابتة ورصينة، إذا توكَّلت على الرَّب مِن كل قدرتك ومِن كل قلبك، ستكون ما قد بدأت أن تكونه، فالحريَّة والقدرة على العمل أُعطيت لك بمقدار نمو نعمتك الروحيَّة. لأنه ليس هناك حدٌّ أو قيدٌ لتدبير النعمة السماويَّة، بعكس الحال في المنافع الأرضيَّة. فالروح ينهمر ولا تعيقه أي قيود، ولا تُكبِّله حوائل موصدة ولو في نطاقات مُسيَّجة، إنَّه ينهمر بلا توقُّف، يتدفَّق بغزارة. ولنجعل قلوبنا ظمآنة، ولنستعدّ أن نرتوي، للحدِّ الَّذي نستحضر إليها [قلوبنا] الإيمان الرحِب، وإلى المقياس الَّذي فيه تنغمر [قلوبنا] بالنعمة الطافحة. ومِن ثمَّ تُمنح قوَّة، وعفَّة

وادعة، وعقلاً متبصِّرًا، وصوتًا ليِّنًا، وبرًّا لا عيب فيه، وبهذا تستطيع أن تخمد جرثومة السموم مِن أجل شفاء المرض، وتطهِّر تلطُّخات النفوس الحمقاء بإستعادة العافية، وتمنح السلام لهؤلاء المتناحرين، ولينًا للقُساةِ، ورقَّة للعُتاةِ ـ وبالتهديدات المفزعة ليجبروا أنفسهم على الاعتراف بأنهم قد لجأوا للأرواح النجسة الشاردة الَّتي سكنت أجساد الناس لتحطيمهم، ويسوقونهم بلكماتٍ عنيفة ليخرجوا منهم، ويتمدَّدون متصارعين، مولولين، متأوِّهين كلما ازدادت آلام التجديد الدائم، ليضربونهم بالسياط، ويشونهم بالنار، ومن هنا تبدأ المسألة، دون أن تُرى، الضربات الموجعة خفيَّة، والعقاب مُعلن. وهكذا بالنظر إلى ما قد شرعنا أن نكونه بالفعل، فالروح الَّذي قد أخذناه يملك حريَّة الفعل، ونحن في كل هذا لم تتغيَّر أجسادنا وأعضاؤنا، ولم تزل نظرتنا الجسديَّة معتمة بغيوم العالم. كم هي عظيمة مملكة العقل هذه، ويالها مِن قوَّة، ليس فقط لأنَّها انسحبت من ارتباطات العالم المؤذية، فمن كان متطهِّرًا ونقيًّا فهو لا يتأذَّى بوسخ الغارات المعادية، بل سيصبح أعظم وأقوى في قدرته، ولهذا يستطيع أن يسيطر على كل الحشد المستبدّ للعدو المُغير رغم ترنُّحِه!

٦. ولكي ما تسطع ملامح الإلهي بأكثر بهاء بنمو الحقِّ، سأكشف لك نورًا لتدركه، والعتمة الناشئة بسبب الخطيَّة ستنقشع. وسأرفع الحُجُب عن هذا العالم الخفي. ولتتخيَّل أن مسافة قصيرة تفصلك عن أحد أعلى قمم بعض الجبال المتعذِّر الوصول إليها، وعندها تفرَّس في مشاهد الأمور الملقاة أسفلك، والتفت بناظريك صوب كل الاتجاهات واحصِ دوَّمات العالم المائج، ورغم أنك انفصلت عن الارتباطات الأرضيَّة، إلاَّ أنك ستشفق على هذا العالم للتو، وستتأمل الله داخلك وستُزيد مِن الامتنان له، وستجذل بالفرح الأعظم الَّذي طالما هربت منه. تأمَّل الطرق وقد سُدَّت باللصوص، البحار وقد ضجَّت بالقراصنة، الحروب وقد انتشرت على الأرض كلها بالمعسكرات الدمويَّة المخيفة. العالم كله قد خُضِّب بالدماء والقتلة، الَّذين إذا قتلوا بالفرد يعتبرون هذه جريمة، أمَّا إذا قَتلوا بالجُملة يعتبرون هذه فضيلة. بل والأعمال الشريرة لها حصانة، ليس بحجَّة أنَّها تمَّت دون قصد، بل لأن الوحشيَّة تُنفَّذ على نطاق أوسع.

٧. وإذا سرَّحت بطرفك وانتباهك إلى المدن نفسها، ستلمح باحات مفعمة بالوحشة أكثر مِن أي إنعزال. وحلبات المصارعين قد عُدَّت، والدم وحده يُشبع شهوة العيون الوحشيَّة. والأبدان قد عُلفت بثقيل الطعام، وكتل الأرداف القاسية اكتظَّت بالأنسجة والعضلات، وصاحب البدن البائس سيموت ميتة بشعة عقابًا له. وربما يكون الرجل المذبوح هو الأوفر حظًّا، والمهارة الأفضل القادرة على القتل هي حرفة وفن. فالجريمة لا تُرتكب فقط، بل إنَّها تُدرَّس. فماذا يمكن أن يصف هذا أكثر مِن أنَّه شيئ غير إنساني، وأكثر مِن أن يكون شيئًا مقيتًا؟ وها التدريب يسير على قدمٍ وساق كي يكتسب القدرة على القتل، وتنفيذه للقتل هو مجدٌ له. أيٌّ حالٍ هذا، استحلفُكَ، ألِهذا مثيلٌ، في أي بشرٍ، رجالٌ في مقتبل العمر، وهم أشخاصٌ حِسانٌ، متزيِّنين بثمين اللِباس ليجابهوا الوحوش، وهي غير مُدانة [في هذا]؟ بشرٌ أحياء، قد تزيَّنوا مِن أجل موت اختياري، رجالٌ بائسين، ويتفاخرون ببؤسهم. فهم يصارعون الوحوش ليس لأنَّهم مجرمين بل لأنَّهم مجانين. آباء يشاهدون أبناءهم، أخٌ في الحلبة، وأخته على مقربة، وكلما زادت فخامة العرض كلما ازداد ثمن المشاهدة، ياللعار! حتَّى الأم ستدفع الثمن الغالى كي ما تشاهد أبناءها الأشقياء. وإذا ما تطلَّعنا في هذا المشهد المريع، الرديء والمميت، لم يكن ليدركنا أنَّهن سيرون بعيونهن قاتلي أبناءهن.

٨. ومِن ثمَّ دِر ناظريك لنوعٍ آخر من المناظر، للشناعات، فهي جديرة بالرثاء. ففي المسارح أيضًا هناك ما يسبِّب لك الأسى والخزي. والتراجيديات المأساويَّة الَّتي تروي في أشعارٍ جرائم الأيام القديمة. وتصل الحبكة الدرامية حد الرعب من القتلى والزُناة وكأنَّها تعبِّر عن الحق، فحتَّى وإن ولَّت هذه العصور، إلاَّ أن الجرائم المرتكبة آنذاك لم تُنسى بعد. فهي محفورة في كل جيل لما يسمعه عنها، ولأن ما قد اقتُرف مرَّة يتكرَّر ثانيةً. فالجرائم لا تنمحي بمرور العصور، والشر لا يُبطل بفعل الزمن، والعقوق لا تغرق في النسيان. والأشياء الَّتي ما انفكَّت أن تكون أعمالاً سيئة تصبح نماذج. وكذلك المقلِّدين الساخرين، بتعليمهم للخساسة، يثيرون أنظار جمهورهم سواء إلى ما توحيه هذه الأفعال، أو إلى ما يستمعون إليه مباشرة. والعُهر يدرَّس على مرأى، ويكون لهؤلاء المثيرين

سلطان على الجمهور ليقودوهم إلى النجاسات، أمَّا ربَّات البيوت المحتشمات اللائي يذهبن عرضيًّا إلى هذه الاستعراضات، فإنَّهن يفقدن حيائهنَّ فور عودتهُنَّ منها. أيّ انحطاط في الأخلاق هذا، ياله من مثير للأفعال القبيحة، ياله من غذاء للرذيلة، أن تتدنَّس بالإيماءات المسرحيَّة، وأن تجحظ متجلِّدًا في تفاصيل شناعات المحارم المُضادة للميثاق والبراءة المفطور عليها الإنسان! رجالاً قد خُصوا، وكل شموخ وقوَّة جنسهم قد خُنِّثت في خزي أجسادهم الواهنة، وها هوذا الَّذي حوَّل رجلٌ إلى إمرأة في غاية السعادة. وفضيلة جرمه تضفي عليه مجدًا، والأكثر فسقًا ومهارة هو الأكثر تبجيلاً. مثل هذا له اعتباره ـ ياللعار! ويُنظر له باعتزاز. وما لا يمكن أن يتخيَّله مثل هذا الإنسان؟ إنَّه يثير الأحاسيس، ويتملَّق المشاعر، ويشتِّت الضمير القوي للقلب الأكثر تعفُّفًا، وهو يمتلك القدرة على الإغواء، الَّذي يزحف على الناس دون أن يشعروا. إنَّهم يصوِّرون فينوس متبجِّحة، ومارس داعرًا، وجوبيتر ليس أقل منهم فسوقًا، متأجِّجًا بالشهوة الدنياويَّة في غمرة هزيم رعوده، الآن ينمو أبيضًا في ريش بجعة، الآن يتدفق في منضحة ذهبيَّة، الآن يبزغ بمساعدة الطيور لينتهك طهارة الفتيان. والآن أيضًا نتساءل، هل يستطيع من يشاهد هذه الأمور أن يكون صحيح العقل محتشمًا؟ الناس تحاكي الآلهة الَّتي تعبدها. ولهؤلاء البائسين تصبح جرائمهم دينهم.

٩ـ وآهٍ، لو تسنَّى لك أن تصعد إلى برج المراقبة العالِ هذا لتحدِّق في الأماكن الخفيَّة ـ ولو فتحت الأبواب الموصدة لحجرات النوم، وتتذكَّر خباياهم الَّتي لا يطيقها العقل المستنير ـ ستجد أشياءً يقوم بها أُناس خلاعيِّين تعف العين النظر فيها، سترى ما تراه وهو جريمة، سترى أن ما يقترفه الناس بجنون الرذيلة ينكرون أنَّهم يفعلونه، وهم يسرعون إلى فعله، يتحرَّقون بشهواتهم المسعورة رجال نحو رجال، يرتكبون ما لا يُشبعهم ولا يُشبع مَن معهم. وأنا غير مصدِّق هل هذا الرجل الآثم بهذه الأفعال يستنكر أفعال أخرى. فالمنحرف يُشهِّر بالمنحرف، ورغم شعوره بالذنب، فهو يشعر أنَّه تملَّص منه، كما لو كان تأنيب ضميره إدانة غير كافية. وهؤلاء الناس المتَّهمين في العلن هم مُتَّهَمون في الخفاء، وهم أنفسهم مُدانون في نفس الوقت الَّذي يَدينون فيه المذنبين، فهم يشجبون في

الخارج ما يصنعونه في الداخل، وهم يفعلون هذا بكل إرادتهم، وعندما يفعلونه، يتِّهمون المتجاسر الَّذي تجاسر وتزاوج في الرذيلة، والوقاحة المناسبة للماجنين. وأنا اتوسَّل إليك أن لا تُدهش مِن الأشياء الَّتي يتشدَّق بها مثل هذا النوع مِن البشر، لأن إثم أفواههم بالكلمات هو أقل ما يصفهم بالآثمين.

١٠. لكن بعدما تتأمَّل الطرق العامة مكتظَّة بالموبقات، بعد معارك من كل نوع منتشرة في العالم كله، بعد العروض سواء أ كانت الدمويَّة أم المشينة، بعد الشناعات الشهوانيَّة، سواء المعروضة للبيع في بيوت البغاء، أو المتخفِّية بين جدران المنازل، ـ فإن الجرأة على ارتكاب الشناعات لهو أكثر إيلامًا من تكتُّم الجريمة ـ ولربما تعتقد أن الساحات العامة على الأقل خالية مِن مثل هذه الأمور، فربما لا ترى فيها الخطايا البغيضة، أو تراها خاوية من عصابات المجرمين. فَدِر ناظريك في هذا الاتجاه: حيث ستكتشف أشياء أكثر وقاحة من أي شيء آخر، وستتمنَّى لو تشيح بوجهك فورًا عنها، وبالرغم من أن القوانين منحوتة على اثني عشر لوحًا، والتشريعات مُعلنة جهارًا على ألواح نحاسيَّة. فأن الخطايا تُقترف في غمرة هذه القوانين نفسها، والشر يرتكب مشهَّرًا في وجه التشريعات ذاتها، والبراءة غير محقَّقة حتَّى في الأماكن التي يدافع فيها عنها. ويتناوب المتنازعين الحقد المحتَّدم، وعندما يُنزع السلام من بين عباءاتهم (توغاتهم *togas*)[٣٧] تقرقع الساحات العامة *the Forum*[٣٨] أصداء جنون النزاع. وما أقرب الحراب والسيوف للأيدي، وها الجلاَّدون جاهزون، والمخالب الدامية، وألواح التعذيب (آلات الراك)[٣٩] والنيران تحرق، فتنزل التعذيبات على جسم بشري نحيل بأكثر

---

[٣٧] التوغا، رداء روماني قديم، يشبه الجبَّة طوله حوالي عشرون قدمًا، كان يصنع من الصوف الأبيض، ويُلف به الجسم فوق التونيك الروماني المصنوع من الكتَّان أو الصوف وربما من الحرير أحيانًا، له أطوال وأحكام مختلفة. كما أن التوغا هي لباس السلام وليس الحرب. وهنا نجد أن العبارة من الناحية البلاغيَّة بها تورية، فهو يُشير إلى أنَّهم يتخلُّون عن السلام بنزع التوغا عنهم.

[٣٨] الساحة العامَّة the Forum مكان ملتقى عام في مدينة روما القديمة، يقع في وسط المدينة، وهو ملتقى للقضاء والأحكام والجدل والسياسة والتسوُّق وغيره، انتشر في المدن الرومانيَّة بعد ذلك، وما زالت أثاره موجودة في روما.

[٣٩] آلة الراك أو المِخلَعَة أو آلة المطّ كما يُطلق عليها، هي أداة تعذيب رومانيَّة، مكوَّنة من منضدة خشبية يتمدَّد عليها الجسم، تربط القدم بأغلال من جهة، ومن الجهة الأخرى تربط اليد بملف، وتُشدُّ اليد بالملف حتى تنخلع المفاصل وتتفكَّك، ويستخدم عليها انواع تعذيب أخرى كحرق الأطراف بالمشاعل والنار وغيرها من انواع التعذيب البشعة.

مما يحتوي على أطراف. وفي مثل هذه الحالات، أين المُدافع؟ أين محامي الرجل؟ هوذا يخدع ويضلِّل. أين القاضي؟ إنَّه يبيع حُكمه. فهذا الَّذي يجلس ليقتص من الجرائم يقترفها، ويصبح القاضي مذنبًا، ولذلك كثيرًا ما يهلك المتهم وهو بريئًا. والجرائم معتادة في كل مكان، وفي كل مكان يتَّخذ الإثم أشكالاً متنوِّعة، وتُبثُّ السموم المميتة الَّتي تبتكرها العقول الفاسدة. وهناك من يتحايل على الإرادة، وآخر بمالٍ مسروق يحتلُّ منصبًا زائفًا، ومن ناحية، تغتصب تركات الأطفال، في حين تُمنح ممتلكاتهم للغرباء. المُدَّعى عليه يقدِّم ادلَّته، والمُدَّعي المزيَّف يُهاجِم، الشاهد يفتري زورًا، ومن كل الجوانب تعلو صفاقة الأصوات المشتراة بالرشوة بتفنيد الأدلَّة، والمذنب الحقيقي لا يطاله حتَّى أن يهلك مع البريء. فليس للقوانين أي اعتبار، وليس للمحقِّق أو القاضي أي وقار، لأن الحُكم من الممكن ان يُباع بالمال، لا يهُم. في حين نرى المُذنب بريئًا، وكل مَن لا يحاكي الشرير فهو معثرة لهم. وكأن القوانين وضعت لتتوافق مع الجرائم، وأيٌّ ما كان عامًّا يصير مباحًا[٤٠]. فماذا يمكن أن يكون الحياء، وماذا يمكن أن تكون النزاهة، حتَّى تسود هناك، لأنَّه ليس هناك من يدين المخطئ، وواحد فقط يستقبل هؤلاء الَّذين كان يجب أن يُدانوا هم أنفسهم؟

١١. وربَّما تستشعر أنَّنا نختار أمورًا مبالغ فيها، وبنظرة امتهان كنا نحاول أن نشُدُّ انتباهك بتصوير هذه الأشياء في مشهد مؤسف ومُنفِّر بشكلٍ يجرح حدقة الضمير الصالح، فسأريك الآن أمورًا يحسبها العالم بجهله صالحة. وستشاهد فيما بينها ما هو صادمٌ لك. ففيما يخص الأمور الَّتي ربما تعتبرها كرامات، ما تعدَّه مصدر سلطة، ما تحتسبه ثراءً وفيرًا، وما تعتقد أنَّه قوَّة في المعسكر، المجد الأورجواني في المناصب الجليلة، قوَّة سلطة الرئاسات العليا، ففي كل هذا هناك سمٌّ مخفي لأعمال مهينة كلها فخاخ، ومظهر الشر الباسم، أجل هو بهيج، لكنه يخفي فواجع المكر الغادر. تمامًا مثل بعض السموم، الَّتي عولجت نكهتها بشيء مُحلَّى، امتُزج بمكرٍ بشرابها المُميت، فهو يبدو سائلاً طبيعيًّا، لكن عندما ترتشفه يهاجمك بعنف الهلاك الَّذي تجرَّعته.

---

[٤٠] أي أن الشر يصبح ظاهرة عامة، وبالتالي تستبيحه الناس وتعتاد عليه.

وهكذا، أنت ترى هذا الرجل البارز بملبسه اللامع، وهو يشعر بتألُّقه في أورجوانه. لكن بأي وضاعة اشترى هذا التألق! فأي امتهانات المغرور كانت له أولاً كي يُذِل بها! أي بدايات متعجرفة طوَّقته عندما كان من الحاشية المتودِّدة! كم من خطوات مهينة ينبغي أن يقدِّمها اولاً لعظماء الرجال المتعجرفين، محشورًا بين حشود المُريدين، الَّذين يسبقون موكبه عما قريب ليقدِّموا له التحيَّات ـ قافلةٌ ليست في خدمة شخصه، بل في خدمة قوَّته! لأنَّه مكرَّم ليس لصفاته الشخصيَّة بل لصولجانه. وبعد هذا، فأنت ترى كيف هي النهاية المخزية، عندما يرحل المتملِّقين بعدما أخذوا أغراضهم، ويهجره الطفيليِّين، فإنهم ينهشون عِرض الرجل بعدما يتقاعد لأي سبب. ومن ثمَّ فإنَّ الأذى الواقع على أسرة بدَّدت ممتلكاتها يستهوي الضمير، وهكذا فالخسائر الَّتي يتكبَّدها المبذِّرين هي معلومة، فقد اشتروا بها تملُّق العوام لهم، والناس يطلبون [المال] مع كل التوسُلات الفارغة والمتلوِّنة. فقطعًا، لهو تفاخر باطل وأحمق أن تريد أن تقدِّم في زهو الاستعراض المخيِّب، [المال] الَّذي يبحث الناس عنه، وهو من شأنه أن يخرِّب الحُكَّام.

١٢ـ وهؤلاء الَّذين تعتبرهم أغنياء، الَّذين يصلون الحديقة بالأخرى، كي يبعدوا عنهم مجاورة الفقراء، فهم يمدُّون حقولهم طولاً وعرضًا في مسافات بلا أيَّة حدود، الَّذين يمتلكون أكوامًا ضخمة من الفضة والذهب ومبالغ طائلة من المال، سواء أكوامًا مكدَّسة أو مخازن مطمورة ـ فهم في وسط كل غناهم هذا، يمزِّقهم قلق الهواجس، لئلا يفسد السارقين، أو يهاجم القتلى، ويخالجهم حسدًا من جيرانهم الأكثر ثراءً لئلا يصيروا خصومًا، ويضايقونهم بدعاوي قضائية كيديَّة. مثل أن يشتكوا على أحد بأنَّه ينعم بالطعام والمنام بدون حراسة. أمَّا هو فيتنهَّد في وسط مائدته، رغم أنَّه يشرب في إناء مرصَّع بالجواهر، وعندما يحتضن فراشه الفاخر جسده الكسول من فرط الطعام، يتمدَّد في أرق، غير شاعر بعبيده البؤساء، مع العلم أن هذه الأشياء بالنسبة لهم ليست إلاَّ أوجاع مطليَّة بالذهب، وهم عبيد عنده بسبب ذهبه، وأنَّهم عبيد رغده وثروته أكثر من شخصه. وأوَّاهٍ من عمى البصيرة المقيت هذا، وظلمة الجشع الأحمق المطبقة! وبالرغم من أنَّه يريح نفسه ويحاول التخلص من الأعباء، إلاَّ أنَّه

لا يزال يكتئب بسبب ثروته المزعجة ـ وفي عنادٍ يصرُّ أن يتشبَّث بكنوزه المبرحة. ولا يمنح الحريَّة لعبيده، ويمتنع عن الفقير. هؤلاء الناس يعتبرون هذه الأموال الَّتي يحرسونها بجهدٍ غيور أموالهم، وفي المنزل يتحدَّثون على أنَّها أموال غيرهم، وهم لا يفيدون بها لا أصدقاءهم، ولا حتَّى أبنائهم، ولا حتَّى أنفسهم. فهم يمتلكونها فقط حتَّى لا يمتلكها غيرهم، وياله من تحريفاً في الأسماء هذا! فهم يدعون هذه الأشياء الَّتي لا يستخدمونها إلاَّ في المفاسد صالحة.

١٣ـ وهل تعتقد أنَّ الآمِنين، هم هؤلاء المتحصِّنين باستمرار البقاء بين هالات الكرامة والثروة الطائلة، حيث تحيط بهم الأذرع الساهرة في أبهة القصور الملكيَّة؟ كلا، فهؤلاء أكثر خوفًا من الآخرين. رجل عليه أن يُخيف الناس وهو خائف أكثر منهم. العظمة تنتزع عواقبها بنفس القدر من هؤلاء الأكثر قوَّة، حتَّى لو كان مُسيَّجًا بجماعات الاتباع، وربما يحمي نفسه بالمقرَّبين وحراسة حاشية هائلة. وإن كان يمنع أتباعه من أن يشعروا بالأمان، فمن المحقَّق أنَّه سيستجدي الشعور بالأمان. فإن هؤلاء الَّذين يستخدمون القوَّة لإرهاب الآخرين، هم يرهبون أنفسهم قبل الكل. إنَّهم يبتسمون لكي يحنقوا، يتملَّقون ليخدعوا، يغوون ليفتكوا، يتملَّقون ليُحطُّوا، وليكتسبوا كرامات ويصلوا لقمة العظمة، يضعون رِبا فاحشًا، والأدهى هو رغبتهم في تغليظ العقوبة المطلوبة.

١٤ـ ومن ثمَّ، فأن السكينة الهادئة الأكيدة، والأمان الراسخ والثابت والدائم، هو أن ينسحب الإنسان من دوَّامات العالم اللاَّهي، ويُلقي بمرساته على مرفأ ميناء الخلاص، ليرفع رأسه من الأرض إلى السماء، ويرتمي في نعمة اللّه، ليصبح أدنى ما يكون من إلهه بعقله، وكل ما يحسبه الآخرون من شؤون البشر جليلاً، فليتفاخر هو بأنه قد طرحه خلف إدراكه. ولا ينتظر من العالم شيئًا، ولا يشتهي من العالم شيئًا، من تسامى بالحق عن العالم. وياله من ثابتٌ وحُر من كل الصدمات هذا الآمِن، يالروعة الحماية السمائية في بركاتها الدائمة،ـ لكي تكون محرَّرًا من شراك هذا العالم المائج، لكي تكون طاهرًا من الرواسب الأرضيَّة، ومُعدًّا لنور الخلود الأبدي! وسوف يرى الأعمال الماكرة الَّتي كان يهاجمنا بها العدو من قبل. وعلينا أن نقتني الحب أكثر لِما ينبغي أن

نكون عليه، إذ قد أتيح لنا أن نكتشف وندين ما كنَّا عليه. وهذا الهدف لا ندفع له مالاً لرشوة أو لأجرة، لأن رفعة الإنسان وكرامته أو قوَّته ينبغي أن تولد في داخله بجهاده الحثيث، لكن هذه نعمة مجانية من الله، وهي متاحة للجميع. فكما تشرق الشمس تلقائيًا، وكما يُعطي النهار نورًا، وكالينابيع تتدفق، والمطر يُندِّي، هكذا ينبع داخلنا الروح السماوي. عندما تدرك الروح خالقها، بتحديقها في السموات، فهي تعلو أكثر من الشمس، وتسمو فوق كل القوى الأرضيَّة، وتكون ما تؤمن أنَّها ستكونه.

١٥. والآن، هل تلاحظ أن من تجنَّد في الميدان الروحي للحرب العلويَّة يحفظ بدقة الانضباط في الفضائل الدينيَّة. فلتثبت إذًا في الصلاة كما في القراءة، وللتتحدَّث مع الله الآن، وتدع الله يتحدَّث معك، دعه يعلِّمك وصاياه، دعه يرشدك. فمن قد جعلهم أغنياء لا يفقرهم بعد، لأنه لا يعرف الفقر بعد من قد تغذَّى بالطعام السماوي. وكيف تبدو لك السُجُف موشَّاة بالذهب، والمنازل مزيَّنة بفسيفساء من الرخام الباهظ الثمن، فإن علمت أنَّه أنت هو من ينبغي أن تكون كاملاً، وأنت من ينبغي أن تكون مزيَّنًا، وتصبح أنت هو المسكن حيث يسكن الله كما في هيكل، حيث يبدأ الروح القدُّس أن يجعله مستقرَّه، وهو أكثر أهميَّة من كل الأشياء الأخرى. فلنزيِّن هذا المنزل بالطهارة، دعنا نُنيره بنور الحق، الَّذي لا يُبلى بتردِّي الدهر، ولا يشوَّه بتلطخات ألوان حوائطه، ولا ذهبه. فأي ما تجمَّل بشكل صناعي سيفسد، وهذه الأشياء ذات الطبيعة الفانية لا تستطيع أن تضمن لأصحابها الخلود. لكن الأخرى تبقى في جمالٍ برَّاق إلى الأبد، وفي بهاءٍ كامل، ورونق دائم. وهي غير قابلة للانحلال ولا التلف، هي تكون بديعة بكمالٍ أعظم عندما يعود إليها الجسد.

١٦. اكتفي بهذه الأمور المختصرة، أيها الحبيب دوناتوس. رغم أن ما تسمعه من أشياء مثمرة تبهج صبرك، فهي تتلاءم في صلاحها، وعقلك المتَّزن، وإيمانك الواثق، وليس شيء يسرُّ أذنك أكثر من سماعك عن الله. لكن لا مندوحة من أن نتوقف هوينًا عن الحديث، وخاصة أننا جيران، ونحب أن نتحاور معًا مرارًا، ولأن هذه راحة العطلة، ووقت للاسترخاء، ولم يتبقَّ في النهار كثير، وبدأت

أسدال الليل تتدلَّى، فلنقضِه في حبور، ولا ندع حتَّى ساعة الطعام بدون نعمة سماويَّة. ولترافق نغمات المزامير وجبتنا الزاهدة، ولأن ذاكرتك متَّقدة وصوتك موسيقي، فلتتولَّ هذه المهمة، كعادتك. فإنَّك بهذا ستُقدِّم أفضل ضيافة لأعز أصدقائك، فحيث هناك شيء روحي لنسمعه، فعذوبة الموسيقى التقويَّة تُسحر آذاننا.